مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 9/العدد: 03 (2020)، ص 56- 71

تدريس علم الصرف العربي في الجامعة الجزائرية

مشكلات وحلول

at the Algerian University Teaching Arab morphology problems and solutions

فوزية دندوقة[1]، نوال آقطي[2]

[1] جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)، fz.dendouga@univ-biskra.dz

[2] جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)، naouel.agti@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/24 تاريخ القبول: 2021/10/14 تاريخ النشر:2021/12/01

ملخص:

كان علم الصرف أقل علوم العربية إثارة لعلمائها، ما جعلهم ينصرفون عنه إلى ما هو أهم كالنحو والبلاغة حسب رأيهم، فكانت معظم الدراسات الصرفية جزءا من كتب النحو، لكن مجموعة منهم غير قليلة حملت على عاتقها دراسة هذا المستوى من مستويات اللغة، حتى آل علم الصرف في نهاية المطاف إلى الاستقلال، وصارت له مباحث محددة، لا يشاركه فيها غيره، وعلماء يتفردون بدراسته، ومصنفات يستقل بها، وتستقل به.

لكن وعلى الرغم من ذلك لا يزال هذا العلم ويا للأسف الشديد يعاني في جامعاتنا من مشكلات عدة جعلت الطالب المجدَّ النبيه ينفر منه، بلْهَ الضعيف الكسول، وفي هذا المقال سنحاول عرض أهم هذه المشكلات واقتراح حلول لها.

كلمات مفتاحية: الصرف، التصريف، مشكلات، تدريس، اللغة.

Abstract:

Morphology was the least exciting science of Arabic for its scholars, which made them turn away from it to what is more important, such as grammar and rhetoric, according to their opinion. Most of the morphological studies were part of the grammar books, but a group of them, not a few, took it upon themselves to study this level of language levels, even all the pure science In the end, independence was achieved, and he had specific studies, in which no one else would participate, scholars who study it exclusively, and compilations with

which he is independent and independent, but despite this, this science, unfortunately, is still suffering in our universities from several problems that made the noble student repel From him, weak and lazy idiot, and in this article we will try to present the most important of these problems and suggest solutions to them.
Keywords: exchange ; conjugation; problems ; teaching ; language.

المؤلف المرسل: فوزية دندوقة،

1. مقدمة:

كانت العرب في الجاهلية وصدر الإسلام تنطق على السليقة، وتكره الخطأ في اللغة، قال عبد الملك بن مروان: اللحن في الكلام أقبح من الجذري في الوجه، وقد أوصى بعض العرب بنيه، فقال: يا بنيَ أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة، فيتجمل فيها، فيستعير من أخيه دابته، ومن صديقه ثوبه، ولا يجد من يعيره لسانه، ولما انتشر الإسلام واجتمعت الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة تفشى اللحن، فانصرفت الهمم لوضع قواعد اللغة المتمثلة في النحو بضبط حركات الإعراب والبناء، وضبط أبنية الكلم ومعرفة أحوالها ، وتلك القواعد هي علما النحو والصرف.

وإذا تتبعنا هذا العلم منذ نشأته لوجدنا القدامى قد وضعوا أسسه وشرحوا قضاياه بطريقة منهجية رائعة، تدل على رقي التفكير اللغوي عندهم ونضجه ودقته، لكنها أسس منبنية على الكثير من التعقيدات والاستطرادات والخلافات المذهبية، والمسائل المتشابكة التي تجعل طلاب اللغة العربية وآدابها يجدون الكثير من الصعوبات في دراستهم لعلم الصرف في مختلف مراحل تكوينهم الجامعي، لهذا جاءت دراستنا في هذه الورقة البحثية للكشف عن أهم التعقيدات والمشكلات التي يعانيها المتعلمون في تلقيهم لهذا العلم، وإيجاد حلول لها من منطلق التجربة التعليمية.

2. مشكلات علمية:

1.2 مشكلة المصطلح:

يُعنى علم الصرف بالاشتقاق وبمختلف التصريفات، ونظرا لذلك فقد تداخلت مصطلحاته، واختلطت مفاهيمه، إذ نلاحظ أن كثيرا من الدارسين من لا يكاد يفرق بين

الصرف والتصريف والاشتقاق، فيستعملون الواحد من هذه المصطلحات بدلا من الآخر، وكأنها جميعا بالمعنى نفسه.

ويشير التفتازاني (ت793هـ) إلى أن لفظ (التصريف) هو الأول استعمالا للدلالة على هذا العلم؛ فهو تفعيل من الصرف للمبالغة والتكثير (التفتازاني، 1997، صفحة 28)، وهذا ما يؤكد أن اختيار القدامى لمصطلح (التصريف) لم يكن اعتباطا، بل لذلك دلالة على المعنى الاصطلاحي الذي أرادوه، وهو معنى: تغيير الأبنية من وضع إلى وضع، ومن مثال إلى مثال، والتصريف يفيد معنى التغيير أكثر من إفادة الصرف لهذا المعنى، كما يوحي معنى هذه اللفظة بالعمل والتدريب وكثرة التمارين، وحين اتسعت دائرة هذا العلم، ودخل فيه بعض المسائل والقواعد التي يبدو فيها التغيير أقل ظهورًا، ظهر مصطلح الصرف على هذا العلم (بسندي، 2008، صفحة 319).

1.1.2. الصرف:

ليس غريبا أن يشوب هذا المصطلح كثير من الخلط وعدم التمييز على مستوى المصطلحات والمفاهيم، فالمتتبع لكتب التراث يلاحظ أنه لم يرد عن علماء اللغة الأوائل تعريف جامع مانع لعلم الصرف، وكل ما ذكر كان مجرد إشارات متناثرة هنا وهناك.

وقد وردت أصول هذه الكلمة في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة، تفيد كلها معنى التحويل والتغيير، كقوله تعالى: ﴿*وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ* وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة، 164)، وقوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ *فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ* إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (يوسف، 34).

أما في الاصطلاح فهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة، لا تحصل إلا بهذا التغيير، وذلك كتحويل المصدر(قطْع) إلى الفعل الماضي (قطع)، والمضارع (يقطع)، والأمر (اقْطَعْ) ، وغيرها مما يمكن أن نتوصل إليه من مشتقات تتصرف عن الكلمة الأصل كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة...الخ، وهو إلى جانب ذلك علم يبحث فيه عن المفردات من حيث صورها وهيئاتها، أو من حيث ما يعرض لها من صحة، أو إعلال، أو إبدال (الحديثي، 1965، صفحة 26، 27).

وموضوع علم الصرف هو الألفاظ العربية من حيث الصحة والإعلال والأصالة والزيادة، والأفعال المتصرفة والأسماء المعربة من حيث البحث عن كيفية اشتقاقهما؛ لإفادة المعاني الطارئة، فيجري التصريف على هذه الأفعال بتغيير بنيتها، فيقال مثلاً: اسم الفاعل من الفعل الثلاثي بزنة فاعل، واسم التفضيل بزنة أفعل، واسم الهيئة بزنة فِعلَة إلى غير ذلك، ويجري التصريف على الأسماء المعربة بالتثنية والجمع والتصغير والنسب.

وجاء في حاشية الصبان على شرح الأشموني أن تعريف الصرف اصطلاحا يشمل ثلاثة أمور (الصبان، 1305، صفحة 167/4.):

- أولا: تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لأداء المعنى الذي يقتضيه المقام كالتصغير واسم الفاعل والتكسير.

- ثانيا: تغيير الكلمة لا لمعنى طارئ ولكن لغرض آخر كالزيادة والحذف والقلب والنقل والإدغام والإمالة.

- ثالثا: العلم بأحكام بنية الكلمة بما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة، ويقصد ببنية الكلمة الصيغة التي توجد الكلمة عليها في حالة كونها مفردة، فإذا ركبت مع غيرها أصبح البحث فيها خاصا بالنحو.

نستطيع أن نتبين من خلال ما سبق أن الصرف عند القدامى بمعنيين (الحديثي، 1965، صفحة 23):

- أحدهما عملي: وهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها، كتحويل المصدر إلى اسمي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل، واسمي المكان والزمان...

- والثاني علمي: وهو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب، ولا بناء.

ومن المحدثين كمال بشر الذي قال إن الصرف "وسيلة وطريق من طرائق دراسة التركيب والنص اللذين يقوم بالنظر فيهما علم النحو" (بشر، 1986، صفحة 84). وعلى الرغم من عدم العناية بالصرف كباقي علوم اللغة، فإننا نجد من علماء

العربية من أدرك أهميته، واعتنى به، وعد الخطأ في المفردات عيباً يخل بالكلام، ويتنافى مع فصاحة المفرد، ويبطل بلاغة القول المركب، و قد ذكرت الروايات بعض ظواهر اللحن في الكلمات، من ذلك "ما ذكره أبو الطيب اللغوي (ت351هـ) نقلا عن الخليل (ت173هـ) من قوله لم يزل أبو الأسود (ت69هـ) ضنينا بما أخذه عن علي كرم الله وجهه (ت40هـ) حتى قال له زياد، قد فسدت ألسنة الناس، و ذلك أنهما سمعا رجلا يقول قد سقطت عصاتي، فدافعه أبو الأسود، و وجه اللحن في هذا المثال أنه أنث العصا بالتاء، مع أنها غير محتاجة إليها، إذ العصا مؤنث مجازي، بدون علامة في لغة العرب..." (الحملاوي، دت، صفحة 27).

2.1.2. التصريف:

يحوم المعنى اللغوي للتصريف حول التحويل: "وتصريف الآيات: تبيينها، والتصريف في الدراهم والبياعات: إنفاقها، والتصريف في الكلام: اشتقاق بعضه من بعض، والتصريف في الرياح تحويلها من وجه إلى وجه..." (الفيروزآبادي، 2004، صفحة 843).

أما المعنى الاصطلاحيّ فهو ما وضَعَه له أهل هذه الصناعة، والمراد هنا صناعة التصريف، وهو تحويل الأصل الواحد أو تغييره، والأصل ما يبنى عليه شيء، والمراد هنا المصدر(إلى أمثلة) أي أبنية وصيغ، وهي الكلم باعتبار الهيئات التي تعرض لها من الحركات، والسكنات، وتقديم بعض الحروف على بعض وتأخيره عنه،(مختلفة) باختلاف الهيئات كضرَب يَضْرب، ونحوهما من المشتقات(لمعان)، فالتصريف تحويل الأصل أي المصدر إلى أمثلة مختلفة لأجل حصول معان مقصودة لا تحصل إلا بهذه الأمثلة (بسندي، 2008، صفحة 319).

وقد عرف سيبويه (ت180هـ) التصريف في قوله: "هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات، والأفعال غير المعتلة، والمعتلة، وما قيس من المعتلّ الذي لا يتكلمون به، ولم يجئ في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون: التصريف والفعل" (سيبوية، دت، صفحة 242/4).

ويقول ابن جنّي (ت392هـ): "هو أنْ تأتي إلى الحروف الأصول، فتتصرف فيها بزيادة حرف أو تحريف، بضرب من ضروب التغيير، فذلك هو التصرف فيها، و التصريف لها" (ابن.جني، دت، صفحة 2)، ويجعل الغرض منه على ضربين: "أحدهما الإدخال لما تبنيه في كلام العرب، و الإلحاق له به، والآخر التِماسك الرياضة به، والتدرب بالصنعة فيه" (ابن.جني، 2006، صفحة 487/2)، ويؤكد على أهميته لمستعمل العربية إذ يقول: و"يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة، وبهم إليه أشد فاقة؛ لأنه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به" (ابن.جني، 1954، صفحة 2/1)، فالتصريف هو السبيل الوحيدة عند ابن جني إلى الاشتقاق؛ لأنه يحدد أبنية الصيغ المشتقة، و الاشتقاق هو أهم دليل لمعرفة الزائد من الأصلي (هنداوي، 1989، صفحة 51)، فالواو و الياء و الألف في (كوثر وكثير وكاثر) زائدة بطريق القياس، لأنها وردت مع ثلاثة حروف أصول، و بطريق الاشتقاق؛ لأن هذه الأصول بمعنى الكثرة (ابن.جني، دت، صفحة 8).

3.1.2. الاشتقاق:

تتميز اللغة العربية بأنها لغة اشتقاق، والاشتقاق هو الذي يصنع من جذر الكلمة عديدا من الكلمات، فتتسع مادة اللغة، وترحب دلالاتها، إذ تظل الكلمات المشتقة من الجذر الواحد حاملة لمعنى مشترك بينها، تأخذه من هذا الجذر، ثم تزيد فيه وتتوسع، و قد جاء في القاموس المحيط أن: "الاشتقاق: أخذ شق الشيء، والأخذ في الكلام، و في الخصومة يمينا و شمالا، و أخذ الكلمة من الكلمة" (الفيروزآبادي، 2004، صفحة 912).

أما في الاصطلاح فهو العلم بدلالات كلام العرب التي يعرف بها الأصل الذي ترجع إليه الألفاظ، إنه علم البحث عن كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض، بسبب مناسبة بين المخرج والمخارج بالأصالة والفرعية بين الكلم، لكن لا بحسب الجوهرية، بل بحسب الهيئة (القنوجي، 1999، صفحة 62/1، 63).

إنه أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى جميعا، وعلى هذا فهو عملية استنباط وتوليد صيغة من صيغة أو لفظ من

لفظ (أنيس، 1975، صفحة 46)، بحيث تكون الصيغتان واللفظان متفقين في المعنى العام وفي الحروف الأصلية، أو بمعنى آخر هو أن تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب، فتجعله دالا على ما يناسبه، فمجال الاشتقاق إذن البحث في مادة الكلمة من وجوهها المختلفة، بتغيير بنيتها لغرض لفظي أو معنوي (بسندي، 2008، صفحة 319).

وجاء في التسهيل أن "الصرف أعم من الاشتقاق..." (السيوطي، 1998، صفحة 1/ 351) ، وهو ما قد ذهب إليه ابن عصفور (ت660هـ) في تفرقته بين المصطلحين قائلا: "و أما التصريف فتغيير صيغة الكلمة إلى صيغة، نحو بنائك من (ضَرْب)، مثل (جَعفَر)، فتقول (ضَرَبَب)...، و هو شبه الاشتقاق، إلا ان الفرق بينهما أن الاشتقاق مختص بما فَعَلت العربُ من ذلك، والتصريف عامٌّ لما فَعَلتْه العرب، ولما نُحْدِثُه نحن بالقياس. فكلّ اشتقاق تصريف، وليس كل تصريف اشتقاقا" (ابن.عصفور، 1996، صفحة 465، 47).

ووضح الفرق بين المصطلحين بأنه إذا كان الاستدلال على الزيادة أو الأصالة، برد الفرع إلى أصله سُمِّي ذلك اشتقاقا، وإذا كان الاستدلال عليهما بالفرع سُمِّي ذلك تصريفا.

كما أن الفرق بينهما يكمن في أن علم التصريف يبحث في الأوزان الظاهرة ودلالة كل وزن، أما الاشتقاق فيبحث في الدلالة الباطنة وارتباط المعاني في المادة الواحدة، و هذا ما أشار إليه صاحب أبجد العلوم في قوله: "واعلم أن مدلول الجواهر بخصوصها يعرف من اللغة، وانتساب البعض إلى البعض على وجه كلي؛ إن كان في الجوهر فالاشتقاق، وإن كان في الهيئة فالصرف، فظهر الفرق بين العلوم الثلاثة، وإن الاشتقاق واسطة بينهما، ولهذا استحسنوا تقديمه على الصرف، وتأخيره عن اللغة في التعليم، ثم إنه كثيرًا ما يذكر في كتب التصريف، وقلما يدون مفردًا عنه؛ إما لقلة قواعده، أو لاشتراكهما في المبادئ، حتى إن هذا من جملة البواعث على اتحادهما، والاتحاد في التدوين لا يستلزم الاتحاد في نفس الأمر" (القنوجي، 1999، صفحة 63/2).

من هنا يتضح جليا أن المصطلحات الثلاث مختلفة تمام الاختلاف، واستعمالها بالمعنى نفسه خلط في المفاهيم، وهو ما يخلق اضطرابا كبيرا لدى التلاميذ والطلاب في تلقيهم لعلم الصرف.

2.2. مشكلة النشأة والتداخل مع العلوم الأخرى:

مرّ هذا العلم في نشأته بعدد من المراحل؛ إذ اتسعت مباحثه، وتطوّر مفهومه، ويمكن حصر فترات تطوره في مراحل ثلاث:

1.2.2. المرحلة الأولى:

تمثلها كتب النحو العربي، حيث اندرجت مباحث الصرف مع مباحث النحو دون تمييز، فقد كانت الدراسة الصرفية ضمن الدراسات النحوية؛ لأن علوم اللغة العربية لم تنفصل في بادئ أمرها، و لم تتحدد فصولها و مباحثها (الحديثي، 1965، صفحة 27)، وممّن سار على هذا النهج سيبويه في كتابه، وابن السراج في أُصوله؛ مع أنّ بينهما اختلافًا في ترتيب الأبواب الصرفية وتنظيمها، وتشابهًا وتقاربًا كبيرًا في المادة العلمية.

ومصطلح التصريف في هذه المرحلة ضيّق لا يقصد به إلا باب يسير، وقد تناوله سيبويه كما سبقت الإشارة في "باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة، والمعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجئ في كلامهم إلاّ نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل" (سيبوية، دت، صفحة 242/4).

ومعنى التصريف عند سيبويه على هذا هو تغيير الكلمة من وزن إلى آخر، سواء أكان ذلك من المعتل أم من غيره، على نسق كلام العرب الذي تكلموا به في غير باب المعتل أو غير المعتل بمعنى: أن يُقاس الصحيح على وزن للمعتل لم يأت الصحيح عليه، والعكس أيضًا، وهذا يكون في مسائل التمارين والتدريبات؛ لترويض قوانين البدل والقلب والحذف، ومعرفة الأبنية، والميزان الصرفي، وهذا هو التصريف عند سيبويه، وما معرفة قوانين البدل والحذف والقلب إلاّ لِتُعين على مسائل التصريف، وإلاّ فهي ليست تصريفًا (القرني، 2000، صفحة 737).

2.2.2. المرحلة الثانية:

وهي المرحلة التي عرف فيها هذا العلم بداية استقلاله عن النحو، فبعد أن نشطت حياة التأليف، والحركة العلمية عند العرب، اتجهت الدراسات نحو التخصص، و أخذت علوم العربية، ينفصل بعضها عن الآخر، فنشأ ما يسمى بالدراسات النحوية الصرفة، و الصرفية المحضة (الحديثي، 1965، صفحة 27).

يمثل هذه المرحلة عددٌ من النحاة من أبرزهم: المازني (ت247) صاحب كتاب التصريف، وابن جنيّ شارح مصنف المازني و صاحب كتاب التصريف الملوكي، ومفهوم التصريف عندهما لا يبتعد كثيرًا عن المفهوم السابق في المرحلة الأولى.

المقصود بالتصريف في هذه المرحلة ليس معرفة قواعد الاشتقاق، وإنما هو العمل على تصريف الأبنية واشتقاق بعضها من بعض، ووضع أمثلة لم تسمع عن العرب على وزن أمثلة سمعت، والذي يَميز هذه المرحلة هو استقلال هذا العلم وإفراده بالتأليف.

3.2.2. المرحلة الثالثة:

وفي هذه المرحلة اكتمل التصريف ليكون علمًا مستقلاً، وأصبح قسيمًا للنحو لا قسمًا منه، ويمثّل هذه المرحلة المتأخرون من النحاة، كعبد القاهر الجرجاني، وابن عصفور، وابن الحاجب، وغيرهم، و يعد الجرجانيّ أول من ألف كتابًا وصل إلينا باسم (الصرف)، وابتعد عن التسمية (التصريف)؛ غير أنه لما أتى إلى التعريف عرّف التصريف، فقال: "اعلم أن التصريف تفعيلٌ من الصرف، وهو أن تُصرِّف الكلمة المفردة فتولّد منها ألفاظا مختلفة، ومعانٍ متفاوتة" (الجرجاني، 1987، صفحة 26).

ولعلّ ظهور مصطلح الصرف بعد شيوع التصريف "يواكب استقلال هذا العلم عن النحو؛ ولهذا فإنّ بعضهم يَعُدّ التصريف هو المعنى العملي، والصرف هو المعنى العلمي؛ أي أن التصريف يرتبط بكثرة دوران الأبنية واشتقاقها والعمل فيها، والصرف يرتبط بالأصول الكلية التي ينبني عليها معرفة أحوال المفردات" (بسندي، 2008، صفحة 319).

أما ابن عصفور فذكر أنّ التصريف قسمان: "أحدهما: جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني.... والآخر من قسمي التصريف :تغيير الكلمة عن أصلها من غير أن يكون ذلك التغيير دالاً على معنًى طارئ على الكلمة" (ابن.عصفور، 1996، صفحة 78/2).

وذهب ابن الحاجب إلى أنّ التصريف علمٌ بأصولٍ يُعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب، مشيرا إلى ما بين الصرف و النحو من انفصال، فقوله ليست بإعراب يخرج النحو من دائرة هذا العلم، وبهذا اكتمل صرح التصريف، وتميز بالاستقلال التام عن النحو، وبلغ التأليف فيه ذروته على يد مجموعة من العلماء، وضعوا أهم مصنفاته وأكملها وأدقها وأكثرها تهذيباً وتوضيحاً، فاعتنوا أيما عناية بأصوله وفروعه، وبوضع ضوابطه و قوانينه.

كان الصرف في مراحله الأولى مندمجاً مع النحو كما سبقت الإشارة، و قد ظهر ذلك جلياً في كتاب سيبويه، و كثيرين ممن جاء بعده، فعرفوا النحو بأنه (علم تعرف به أحوال الكلم العربية إفراداً وتركيباً)، وهو تعريف يضم بين جنباته كلا من النحو والصرف، و ليس ذلك إلا دليلا واضحا على نبوغ الفكر العربي، وإدراكه في وقت مبكر جدا للصلة القائمة بين علمي الصرف والنحو.

قال ابن جني: "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلتَ: قام بكرٌ، ورأيت بكراً، ومررت ببكرٍ، فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة" (ابن.جني، 1954، صفحة 4/1، 5).

لقد التفت ابن جني من خلال قوله هذا إلى علاقة الصرف بالنحو، و أهمية الأول في دراسة الثاني، وذهب أبعد من ذلك عندما اشترط على طالب النحو أن يدرس الصرف أولا؛ فمسائل الصرف وقضاياه تخدم النحو وتمهد له (حافو، 2007، صفحة 241).

يقول ابن السراج: "النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة، فباستقراء كلام العرب علم أن الفاعل رفع، والمفعول به نصب، وأن فَعَلَ مما عينه ياء أو واو تقلب عينه من قولهم: قام، وباع" (ابن السراج، 1988، صفحة 35/1)، فقد أدرج في تعريفه للنحو مسألة من مسائل الإعلال، وهذا دليل على ارتباط الصرف بالنحو (هنداوي، 1989، صفحة 29).

وعلى الرغم من هذا التداخل يبقى بين العلمين فرق دقيق يميز بعضهما عن بعض، وهو أن المشتغل بالتصريف والاشتقاق لا ينظُرُ إلى الكلمة في السياق أو التركيب، بل ينتزِعُها من تركيبها، كما لا يعتني المشتغل بالتصريف والاشتقاق بوظيفة الكلمة في الجملة بقدر ما يعتني بالتغييرات الواقعة على مبناها وتأثيره في معناها؛ لأن النظر إلى الكلمة من حيث وظيفتها وعلاقتها بغيرها إنما هو من اختصاص علم النحو.

وعلم الصرف لا يمكن الإلمام بقواعده دون المعرفة بعلم الأصوات وبالكتابة الصوتية الحديثة ومعرفة قوانين المماثلة والمخالفة خاصة في موضوعي (الإبدال والإعلال)، مثلما أن النحو بحاجة إلى علم الصرف في تفسير مسائله؛ لأن الصرف يدرس البنية الداخلية للكلمات، فعلينا الإلمام بعلمي الصرف والأصوات، فهما مقدمان على علم النحو؛ لأن النحو يبحث في صفة المركب.

إضافة إلى علاقة الصرف بالصوت، فقد كان علم الأصوات في التراث العربي جزءا من علم الصرف؛ لأن مباحث هذا الأخير تفيد إلى حد بعيد من الدراسات الصوتية، يقول الدكتور كمال بشر: "وما نظن أن أحدا من الدارسين العارفين يشك في أن كثيرا من مسائل الصرف العربي بالذات لا تتأتى دراستها دراسة دقيقة إلا بالاعتماد على القوانين الصوتية و أخذها في الحسبان في كل مراحل الدرس، فمسائل الإعلال بنوعيه، والإبدال مثلا في مسيس الحاجة إلى معرفة جيدة بالأصوات و خواصها، وإلى الرجوع إلى القواعد الصوتية للغة العربية للاسترشاد بها في تحليلها، إذ كان لنا أن نعالجها معالجة لغوية صحيحة" (بشر، 1986، صفحة 23، 24).

ولا يتوقف الأمر عند النحو والصرف فحسب، فجميع علوم اللغة من صوت وصرف ونحو وغيرها ترتبط ارتباطا وثيقا، لتكون في مجموعها كلا متكاملا، حيث يتصل كل منها بسابقه ولاحقه اتصالا يحول دون الفصل بينها فصلا تاما؛ لأنها جميعا ترمي إلى بيان خواص اللغة ومميزاتها، فعلم الصرف يخدم النحو، ويسهم في توضيح مشكلاته وتفسيرها، بل هو مقدمة النحو، أو خطوة تمهيدية له، والصرف في هذه الحال ليس غاية في ذاته، إنما هو وسيلة وطريق من طرق دراسة التركيب والنص اللذين يقوم بالنظر فيهما علم النحو (بشر، 1986، صفحة 220).

إلا أننا نلاحظ غير ذلك في جامعاتنا وفي مختلف مؤسساتنا التربوية، حيث كان وفي زمن غير بعيد ينطلق في تدريس العلمين من القواعد النحوية، ثم يأتي دور القواعد الصرفية، فبعد أن يعرف المتعلم أن المشتقات تعمل عمل فعلها، فترفع فاعلا، وقد تنصب مفعولا، ينتقل وفي مرحلة لاحقة لدراسة المشتقات وأنواعها، رغم الارتباط الواضح بين المحتويين العلميين، ورغم حاجة المحتوى النحوي، إلى أن يكون تاليا للمحتوى الصرفي.

3. مشكلات بيداغوجية:

من بين مشاكل علم الصرف أيضا بل ومشاكل التدريس عموما في الجامعة الجزائرية غياب التنسيق بين مدرسي المادة الواحدة، فلا تكاد تجد مدرسين متواصلين من أجل ضبط المصطلحات، ولا حصر الموضوعات، ولا حتى صياغة أسئلة الامتحانات، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى غياب التنسيق بين القضايا المعرفية والحاجات التربوية للمتعلم.

إضافة إلى عقم طرائق التدريس المتبعة، حيث تعتمد غالبا على مناهج إما غير مناسبة للمادة العلمية، وإما غير كافية، كما لا يزال معتمدنا إلى اليوم في تدريس علم الصرف على برامج قديمة لا تناسب البتة حاجات المتعلم وحاجات عصره، وذلك ما ينهكه، ويقتل رغبة التعليم في نفسه.

لقد صرنا نلاحظ أن نسبة غير قليلة من طلبتنا لا تتحرج إطلاقا في تعبيرها عن نبذها لهذه المادة، بل إنهم تحولوا بكرههم هذا من المادة العلمية إلى مدرسها، فقد صار

أستاذ علم الصرف كائنا غير مرغوب فيه من بين أساتذة الطالب؛ لأنه يلقنه علما لا يحتاجه –كما يعتقد- فهو يعلمه خيالا لا يستعمله ناطق بالعربية، من ذلك مثلا كلمة (حادي) التي كانت في الأصل (حادو)، ولعلة صرفية قلبت ياؤها واوا، وغير هذه الكلمة كثير مما يثير دهشة الطالب الجامعي في مراحل تعليمه الأول، بل ويثير أحيانا رغبته في الاستهزاء من محتوى علمي لا يلبي حاجاته.

ولعل الإشكال الذي نطرحه في هذا السياق ليس بالصعب، ولا بالمعقد، فحله في إعادة برمجة محتويات المادة العلمية، وترتيبها ترتيبا يسهل تلقيها، ولا يكون هذا في السنة الواحدة بل بين سنوات تعليم المادة كلها، فإذا كان علم الصرف يدرس في السنتين الأولى والثانية من التعليم الجامعي، فلا بد من مراعاة ذلك وإعادة تقديم المحتويات السهلة البسيطة إلى السنة الأولى، وتأخير الصعبة منها إلى السنة الثانية، كمختلف محاضرات الإعلال، وخاصة القلب منها، فهذه لا بد أن تلي جملة من المعارف البسيطة التي تمهد في ذهن الطالب الأرضية لتلقيها.

يضاف إلى هذه المشكلات كلها العدد الهائل من الطلبة المنتسبين إلى قسم الآداب واللغة العربية مما يجعل المسؤولين مضطرين إلى اللجوء في تغطية المقاييس إلى بعض طلبة الماستر وطلبة الدكتوراه الذين عانى أكثرهم في مراحل تعليمه من صعوبة المادة نفسها، ومن ضعف نتائجه فيها، فكيف يتحول فجأة إلى مدرس لها، فهذا لا شك مما يوسع دائرة المشكلة، ويزيد علم الصرف صعوبة، فلا بد أن يكون الاختيار لتدريس أي مادة كانت مبنيا على كشفٍ للمستويات العلمية، أو قائما في أسوء الأحوال على النتائج السابقة لكل مترشح للتدريس.

4. المشكلة الاجتماعية:

مشكلة تحقير العربية بكل علومها من بين أسباب تدني المستويات التعليمية في علمي الصرف والنحو، فالعربية صارت عند أبنائها لغة من الدرجة الثانية بعد الفرنسية؛ لأن هذه الأخيرة لغة التعامل والتعليم، فضعُف إثر ذاك الإحساس بالعروبة والوحدة، مما شكل عائقا كبيرا أمام تطوير الثقافة والأدب العربيين، وتولد عن هذا

ظهور الدعوات إلى العامية، والدفاع عنها دفاعا مستميتا (ياقوت، 1999، صفحة 326)، وغيرها من مظاهر التشويش على العربية والحط من شأنها وقيمتها.

5. خاتمة:

نخلص في الأخير إلى أن المشكلات التي يعانيها علم الصرف لدى طلبتنا ليست ناجمة في أغلب الأحوال من صعوبة المادة العلمية في حد ذاتها، فرغم إشارتنا في بداية الدراسة إلى أن الأوائل قد وضعوا قواعد هذا العلم وفق أسس منهجية احتوت على قدر لا بأس به من التعقيدات والاستطرادات والخلافات المذهبية، والمسائل المتشابكة، التي تسببت في لصعوبة تلقي الصرف؛ إلا أنها ليست وحدها ما إلى نبذ المادة والنفور منها، وضعف النتائج فيها، لأن أغلب هذه الخلافات والتعقيدات لا يعرض لها في مراحل التعليم الأولى، بل هي موجهة للمتخصصين من طلبة الجامعات، وهم طلبة اللغة والأدب، ولا يعقل لمتخصص أن ينتظر من علمٍ يدرسه السهولة واليسر، لهذا فإن أسباب الإشكال تعود أيضا إلى ما سميناه مشاكل بيداغوجية تمثلت في سوء التسيير، والتوجيه، إضافة إلى المشاكل الاجتماعية التي تعرفها اللغة في مجتمعاتنا العربية.

6. قائمة المراجع:

1.6. الكتب:

- أنيس، إبراهيم (1975) من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5.
- بشر، كمال (1986) دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر.
- التفتازاني (1997) شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف، تحقيق عبد العال سالم مكرم، المكتبة الأزهرية للتراث، ط8.
- الجرجاني (1987) المفتاح في الصرف، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن جني، عثمان (دت) التصريف الملوكي، تحقيق محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، ط1.
- ابن جني، عثمان (2006) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.
- ابن جني، عثمان (1954) المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، مطبعة البابي االحلبي، مصر، ط1.
- الحديثي، خديجة (1965) أبنية الصرف، في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة، بغداد، ط1.
- الحملاوي، أحمد (دت) شذا العرف في فن الصرف، دار الكيان، الرياض.
- هنداوي، حسن (1989) مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، دار القلم، دمشق، ط1.
- ابن السرّاج (1988) الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3.
- سيبويه (دت) الكتاب، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1 .

- السيوطي، جلال الذين (1998) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق، محمد أحمد جاد المولى، علي البجاوي، محمد أبو الفضل، دار الكتب العلمية.

- الصبان (1305) حاشية الصبان على شرح الأشموني، على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المطبعة الخيرية، مصر، ط1.

- ابن عصفور (1996) الممتع الكبير في التصريف، تحقيق، فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ط1.

- الفيروزآبادي (2004) القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

- القنوجي (1999) أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

- ياقوت، محمود سليمان (1999) الصرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط1.

2.6. المقالات:

- بسندي، خالد بن عبد الكريم (2008) الصرف والتصريف وتداخل المصطلح، مجلة جامعة الملك سعود الرياض، كلية الآداب، م20.

- حافو، محمد حسين، السبع، سعاد سالم (2007) مدخل مقترح لتدريس النحو و الصرف في التعليم الجامعي من خلال تحديد المفاهيم النحوية- الفاعل أنموذجا، مجلة الدراسات الاجتماعية، ع23.

- القرني، مهدي بن علي بن مهدي (2000) آل ملحان الترتيب الصرفي في المؤلفات النحوية والصرفية إلى أواخر القرن العاشر الهجري، مجلة جامعة أم القرى، ع21.